

موقف القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة

The position of the Noble Qur'an from the previous divine books

الباحث/ ميرويس ستانكزي

استاذ المحاضر، قسم الثقافة الاسلاميه، كلية الشريعة جامعة سيد جمال الدين الأفغاني كونر افغانستان

الباحث/ محمد حسين روحاني

استاذ المحاضر قسم الدراسات الاسلاميه، كلية الشريعة، جامعة نجرهار، افغانستان

ملخص:

في هذه الدراسة، يتم فحص مكانة القرآن الكريم من الكتب السماوية القديمة على أساس أسلوب المكتبة وشكل البحث. الهدف من الدراسة هو إثبات صحة القرآن والكتب المقدسة القديمة وإيجاد إجابة علمية للشكوك التي تثار في أذهان الجهلة. تكمن قيمة البحث في حقيقة أن الدراسة المقارنة للأديان في العالم اليوم واسعة جدًا لدرجة أنه يتم إجراء بحث شامل حول الأديان، في محاولة لتحديد مجالات الشك والتحقيق فيها. ومن موضوعات هذه السلسلة حكمة ودقة الكلمات المتعلقة بذكر القرآن في الكتب السماوية الأخرى، والتي تدل بعد النظر على صحة القرآن. جمعت الدراسة وفحصت حالات من القرآن الكريم وردت في الكتب السابقة، يستخدم القرآن مصطلحي "مصدق ومهيم" فيما يتعلق بالكتب القديمة، والتي تعبر من جميع النواحي عن موقف القرآن الواضح من الكتب القديمة. وتبين نتائج الدراسة أن هناك صدقًا كبيرًا في كلام القرآن الكريم، حيث حافظ على فكرة عظمة الكتب السماوية الأخرى، ولم يغفل التشوهات فيها. وهذا شيء يجب الحكم عليه بشكل عادل بالمقارنة. أمل أن تروي نتائج البحث العطش العلمي للباحثين والمتحمسين وأن تثبت فائدتها للقراء.

الكلمات المفتاحية: الموقف، القرآن، التصديق، الهيمنة، الكتب السماوية

The position of the Noble Qur'an from the previous divine books

Abstract

In this study, the position of the Holy Quran on the ancient heavenly books is examined in a library method and in a research form, The value of research lies in the fact that the comparative study of religions in the world today is so extensive that comprehensive research on religions is being conducted, in an effort to identify and investigate areas of doubt. One of the topics in this series is the wisdom and subtlety of the words related to the remembrance of the Holy Qur'an in other heavenly books, which, after consideration, indicate the authenticity of the Holy Qur'an, The aim of the research is to prove the authenticity of the Holy Quran and the ancient heavenly books and to find a scientific answer to the doubts that arise in the minds of ignorant people, The study collected and examined the Qur'an references to previous books, The Qur'an uses the terms "true" and "affirmative" in reference to the ancient books, which in all senses express the clear position of the Qur'an on the ancient books, The results of the study show that there is such a great truthfulness in the words of the Holy Qur'an that it has preserved the idea of the greatness of other divine books and has not overlooked the distortions in them. And that is something that must be judged fairly in comparison.

I hope that the results of the research will quench the scientific thirst of researchers and enthusiasts and prove to be useful to the readers.

Keywords: Status, Qur'an, Confirmation, Confirmation, Heavenly Books

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب، ومهيما عليه، وجعله حافظا و مبينا لما فيها من الحق، ومظهرا لما وقع فيه من تحريف العابثين المبطلين، والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والرسل الذي بلغ القرآن الكريم كما انزل إليه من رب العالمين، وعلى اله الاطهار وصحبه الابرار الذين تلقوا منه، فحفظه الله على ايديهم إلى يوم الدين وسلم تسليما كثيرا.

مشكلة الدراسة:

هذه الدراسة جاءت مبنية موقف القرآن الكريم- الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين ولا من خلفه تنزيل من عزيز حميد- من الكتب السماوية السابقة-التوراة والانجيل- التي نالها الايادي المغرضة الخبيثة بالتلاعب والتحريف؛ فجاءت هذه الدراسة لتبين موقف القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة، وتظهر لكل ذي عين الحق نزيها صافيا خاليا من الغش و الضبابية.

ذكر القرآن الكريم في عدد من آياته أنه مصدق للرسالات السابقة عليه بما فيها التوراة والانجيل، فزعم أعداء الاسلام ومن ذهب مذهبهم أن هذا دليل على صحة الكتب الموجودة عند اليهود و النصارى، لكنهم لم يلتفتوا الى أن هذا التصديق ليس مطلقا، انما هو مقارن بصفة الهيمنة التي تبين أن القرآن جاء مؤيدا لما في الكتب السابقة من الحق، وموضحا لما تم اخفائه منها وما تم تبدله وتحريفه

اسئلة الدراسة

هذه الدراسة محاولة جادة للاجابة على ما يلي من الاسئلة:

- 1- ما هو موقف القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة؟
- 2- هل علاقة القرآن بالكتب السابقة علاقة ازدراء واستهتار ام علاقة تصديق واحترام؟

اهداف الدراسة

لكل دراسة اهداف تخصصها، ترمي اليها، واهداف هذه الدراسة ما يلي:

- 1- بيان موقف القرآن الكريم من الكتب السماوية السابقة.
- 2- بيان حقيقة الكتب السماوية السابقة، وما نالها من تحريف العابثين.
- 3- دعوة صادقة لكل اتباع الكتب السماوية السابقة للايمان بالقرآن الكريم.

اهمية الدراسة ومكانتها

هذه الدراسة لها مكانة عالية حيث تناولت اهم مصادر الاديان السماوية من خلال بيان موقف القرآن الكريم منها، وهذه محاولة صادقة لايضاح ما علق باذهان بعض الناس من ان الكتب السماوية السابقة ما زالت صالحة للاتباع والالتزام على الرغم من وجود تحريف المبطلين فيها.

منهج الدراسة

الإطار العام لهذه الدراسة يتبين من خلال النقاط التالية:

- 1- هذه دراسة وصفية تحليلية.
- 2- تم الرجوع فيها إلى المراجع الاصلية.
- 3- تم الاستفادة فيها ايضا من الشبكة العنكبوتية.
- 4- انتهجت الدراسة عرض المعلومة بأسلوب سلس وواضح بعيد عن الركافة والتعقيد.

المدخل:

الله عز وجل خلق البشر كلهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ثم بث منهما رجالا ونساء امما، وركب فيهم الشهوة والهواء، وخلق معهم عدوهم ابليس عليه لعائن الله، فمن الناس من هدى ومنهم من حقت عليه الضلالة، فانقطاعا لحجتهم ارسل الله للخلق رسلا يبينون لهم ما فيه نجاتهم وخلصهم من الهلاك وانزل على هؤلاء الرسل كتباً لتتير لهم الطريق وتبين لهم الحق من الباطل فانزل التوراة والانجيل فيها هدى ونور يحكم بها النبيون، ولما مات تلك الرسل وطال عليهم الامد استغل الشيطان غيابهم فحاول اغواء اممهم فزين لهم الشيطان تحريف كتبهم المنزلة فانحرفوا عن الحق، فبعث الله رسوله الخاتم اشرف الخلق كلهم ليرجع بالخلق إلى الجادة والصراط المستقيم وأنزل عليه القرآن ليبين للناس ما وقعوا فيه من تحريف وظلم وعبث في كتب الله السابقة، فجاء القرآن مصدقا للكتب السماوية السابقة ومبيناً ما نالتها الايادي من تحريف حتى ما يختلط الحق بالباطل والخير بالشر، فهذه الدراسة جاءت لتبين موقف القرآن الكريم من تلك الكتب السابقة، وتناولت الموضوع في مطلبين وخاتمة

موقف القرآن من الكتب السماوية السابقة موقف تصديق:

نتناول في هذا المطلب مفهوم التصديق ومجالاته:

١- المعنى اللغوي للتصديق :

يعود لفظ التصديق الى أصل كلمة (صدق) المركب من كله: صاد، ودال وقاف، وهو يدل على قوة الشيء في نفسه وصلابته.

قال ابن فارس: "الصاد، والدال، والقاف أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصدق خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه". (10: 339/3).

ووردت كلمة (مصدق) في اللغة العربية بمعان متعددة نذكر منها ما يدل على المقصود :

جاء في المعجم الوسيط: صدقه، وصدق به، تصديقا وتصداقا: اعترف بصدق قوله، وحققه. وفي التنزيل العزيز (ولقد صدق عليهم ابليس ظنه) (سبا/ ٢٠)، ويقال صدق على الأمر: أقره. (21: ٥١٠،

وقال الرازي: (والمُصَدِّقُ الذي يُصَدِّقُك في حديثك). (11: ص 375)

وقال ابن منظور: "وهذا مصداق هذا، اي: ما يصدقه". (2: ١٠٩٥/١٠).

وقال الفيروز ابادي: "وَصَدَّقَهُ تَصَدِّقًا : ضِدُّ كَذَّبَهُ". (17: 1/387).

فمفهوم كلمة التصديق يدور حول معنى الاعتراف والاقرار بصدق الشيء، والدلالة عليه.

مفاهيم التصديق لدى المفسرين

عبارات المفسرين مختلفة حول معنى التصديق؛ وذلك لاختلاف الموارد وسياق الكلام، ومن ذلك:

١- تصديق الأنبياء بعضهم البعض:

قال ابن جزى: تصديق محمد صلى الله عليه وسلم والرسل المتقدمين له ثلاث معان:

أحدها: أنهم أخبروا به، ثم ظهر كما قالوا، فتبين صدقهم في الإخبار به،

والآخر أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم أنبياء وأنزلت عليهم الكتب، فهو مصدق لهم وشاهد بصدقهم، والثالث أنه وافقهم فيما في كتبهم من التوحيد وذكر الدار الآخرة وغير ذلك من عقائد الشرائع فهو مصدق لهم لاتفاقهم في الايمان بذلك.(20: ، ١/٤٤).

وقال القاسمي أنه جاء طبق ما عندهم عنه في التوراة والانجيل، وبمعنى أن أحواله جميعا توافق البشائر.(18: ، ١/٣٢٩)

٢- تصديق النبيين والرسل لما بين أيديهم من الكتاب

قال الألوسي: انه صلى الله عليه وسلم جاء على الوصف الذي ذكر في التوراة، أو أخبر بأنها كلام الله تعالى المنزل على نبيه موسى عليه السلام، أو صدق ما فيها من قواعد التوحيد وأصول الدين وأخبار الأمم والمواعظ والحكم، أو أظهر ما سأله عنه من غوامضها... (4:، ١/٤٦٦)

وقال الطاهر ابن عاشور: تصديق عيسى التوراة أمره باحياء أحكامها. وقال ايضا: هو التصديق بمعنى التقرير والاعمال على وجه الجملة، أى اعمال مجموعها وجمهرة أحكامها ولاينافي ذلك أنه قد تغير بعض أحكامها بوحى من الله في أحوال قليلة. (!:، ٦/٢١٩ و ٢٨/١٨٠).

٣- تصديق الانجيل للتوراة

وتصديق الانجيل للتوراة بمعنى اشتماله على ما وافق أحكامها. (!:، ٦/٢١٩)

٤- تصديق القرآن لما قبله من الكتب

قال الطبري: أن الذي في القرآن من الأمر بالاقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباعه، نظير الذي من ذلك في التوراة والانجيل. (16:، ١/٥٩٩).

وقال القاسمي:حاصل معنى كون القرآن مصدقا لما معهم أن ما أنزل عليه صلى الله عليه وسلم هو طبق ما عندهم من حقيقة نبوته، وصحة البشائر عنه. (18:، ١/٣٢٩).

وقال رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) في تفسير قوله تعالى (مصدقا لما معهم) (البقرة/٨٩): معناه أنه موافق له في التوحيد وأصول الدين ومقاصده. (12: ، ١/٣١٠).

مجالات تصديق القرآن للكتب السماوية السابقة

يتضح من أقوال المفسرين وغيرهم من العلماء فيما يتعلق بتصديق القرآن للكتب السماوية السابق: أن تصديقه هذا له مجالات عديدة نذكرها فيما يلي:

١- اثبت القرآن ان الكتب السابقة وحي منزل من الله جل وعلا، حيث أخبر في كثير من آياته أن الله تعالى ارسل رسلا قبل محمد صلى الله عليه وسلم و أوحى اليهم كما قال تعالى: (انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده) (النساء/١٦٣)

فهذا تصديق لأصل الوحي وللرسالات السابقة وبذلك يكون القرآن مصدقا لما بين يديه كما قال تعالى: (نزل عليك الكتاب مصدقا لما بين يديه) (آل عمران 3) ومن ثم دعا القرآن الى وجوب الايمان بجميع الكتب المنزلة قبله، قال تعالى: (وقل آمنتم بما أنزل الله من كتاب) (الشورى 5/ 1) اي: آمنتم بكتب الله كلها. (7: 188/7)

٢- نزول القرآن الكريم حسب وصفه الموجود في تلك الكتب، حيث اشتملت تلك الكتب على وصف خاتم الرسل وانه يأتي بكتاب من عند الله تعالى، فنزول القرآن وفق هذه النعوت تصديق لهذه الكتب.

وفي البخاري عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ لَقِيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قُلْتُ: أَخْبِرْنِي عَنْ صِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ: "أَجَلٌ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوْرَةِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ، { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا } وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمَتَّوَكِّلَ لَيْسَ بِقَطْطٍ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا سَخَابٍ فِي الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ وَلَنْ يَفِيضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحُ بِهَا أَعْيُنًا عُمِّيًّا وَأَذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا." (6: 328 / 5)

يقول الامام ابن كثير في معنى قوله: (مصدق لما بين يديه) أي من الكتب المتضمنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله، فكان نزوله كما أخبرت به تلك الكتب مما زادها صدقا عند حاملها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسل الله. (15: 1 / 523)

٣- أن القرآن الكريم قد وافق الكتب السابقة في مقاصد الدين الالهي وأصوله التي لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات، ونلاحظ هنا أن القرآن الكريم اتفق مع الكتب المنزلة قبله فيما يلي :

أ- الدعوة الى الايمان بالله تعالى وكتبه ورسله واليوم الآخر وما يتصل بذلك من تنزيه الله تعالى عن النقائص ووصفه بكل كمال يليق بذاته المقدسة

ب- وتتفق الكتب المنزلة في أصول الشرائع كالصلاة والصيام والزكاة... حيث أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى تعبدنا بها كما تعبد بها من قبلنا، فقال في الصوم: (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون).

وقال في الصلاة والزكاة (واذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل... وقلوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة والزكاة..)

ومن هنا نعلم أن أصول الشرائع واحدة في جميع الاديان والرسالات السماوية كما قال تعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا) (الشورى 13)

أما تفاصيلها وهيئاتها وما يتصل بذلك من تفاريع أخرى، فتختلف فيها الكتب اختلافا يتلاءم مع أحوال الناس في كل الأزمنة ويتفق مع مصالحهم، قال تعالى

(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (المائدة/48).

ج- وتتفق الكتب المنزلة من عند الله في الدعوة الى الفضائل الأخلاقية والترغيب فيها، والترهيب من الرذائل والتنفير منها، فجميع كتب الله أمرت بالعدل والاحسان،

والصدق والصبر وغيرها من مكارم الاخلاق الثابتة التي تسعد بها البشرية في كل زمان ومكان، كما نهت تلك الكتب عن الظلم والخيانة والكذب وما الى ذلك من الرذائل التي هي سبب هلاك البشرية في كل حين وأن

٤- من وجوه تصديق القرآن لما سبقه من الكتب، أن الله تعالى قد جمع فيه ما توزع في تلك الكتب من الفضائل، فأنقذ بذلك من سبقه من كتب الله وحفظه، وصدقته.

فالقرآن الكريم خلاصة كاملة للرسالات السابقة، وللنصائح التي بذلت للانسانية من فجر وجودها، وهذا من اوضح وأبين مظاهر عظمة القرآن. (14:، ص ٨٠-٨٢)

مفهوم الهيمنة

لكي نعرف مفهوم الهيمنة لابد من الرجوع اولا الى المعجمات العربية للوقوف على أصل اشتقاق الكلمة ومعناها، ثم تفسيرها عند المفسرين

اصل كلمة الهيمنة

تعددت آراء علماء اللغة في تعيين اصل كلمة الهيمنة من الناحية اللغوية يمكن اجمالها في ثلاثة اصول هي:

١- انها (آمن) فهو (مؤمن بهمزين، لينت الثانية وقلبت ياء كراهة لاجتماعها فصار مأيمن وقلبت الأولى هاء). (٥: ٢٠٧١/8، ٢٢١٨/٦)

٢- أن الهيمنة من هيمن وهو (بنا أصل أي أنه لم يبدل من شيء، ولم يجيء على هذا الوزن الا خمسة ألفاظ: هيمن، وسيطر، وبيطر، وحيمر، وبيقر). (5: ٢٥٩/٤)

٣- أنها مأخوذة من أيمن فهو (مؤيمن فأبدلت الهاء من الهمزة، كما قيل في أرقت الماء هرقت، وقد صرف فقيل يهيمن هيمنة فهو مهيمن وعلى هذا فيكون وزنه مفعيل مثل مسيطر ومبيطر). (٦: ١٧٤/3)

معنى الهيمنة لغة

نظرا لاختلاف أهل اللغة في أصل كلمة الهيمنة تعددت آراءهم في معناها اللغوي لكنها تدور على ثلاثة معان رئيسية :

١- المهيمن: (الشاهد والأمين وهو من آمن غيره من الخوف)

قال ابن منظور: والمُهَيَّمُنُ اسم من أسماء الله تعالى في الكتب القديمة وفي التنزيل (وَمُهَيَّمِنًا عَلَيْهِ) قال بعضهم معناه الشاهد يعني وشاهداً عليه والمُهَيَّمِنُ الشاهد وهو من آمن غيره من الخوف... وقال بعضهم مُهَيَّمِنٌ معنى مُؤَيَّمِنٌ... بمعنى الأمين. (2: 14/2)

٢- هيمن عليه (صار رقبيا عليه وحافظا له)

جاء في المعجم الوسيط: (و المهيمن من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له وفي التنزيل العزيز) مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمننا عليه. (21:، ٢٠٠٥).

٣- الهيمنة هي (القيام على الشيء والرعاية له) وجميع هذه المعاني ذكرها ابن منظور في كتابه فقال: (وفي المَهْمِين خمسة أقوال قال ابن عباس المَهْمِين المُوْتَمَنُّ وقال الكسائي المَهْمِينُ الشهيد وقال غيره هو الرقيب يقال هَمَيْنُ يُهْمِينُ هَيْمَنَةً إذا كان رقيباً على الشيء وقال أبو معشرٍ ومُهْمِيناً عليه معناه وقَبَاناً عليه وقيل وقائماً على الكُتُبِ وقيل مُهْمِينٌ في الأصل مُؤْمِنٌ وهو مُفْعِلٌ من الأمانة. (2: 14/2)

الهيمنة عند المفسرين:

ذكرت كلمة الهيمنة في القرآن الكريم في موضعين، أحدهما في سورة المائدة في قوله تعالى (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (المائدة/٤٨)

والآخر في قوله تعالى (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ) (الحشر/٢٣)

وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى الهيمنة، فقد أورد ابن جرير الطبري -رحمه الله- بعض هذه الأقوال عند تفسيره للآية الأولى فقال: أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه اليك يا محمد مصدقاً للكتب قبله وشاهداً عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظاً لها، وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب.

ونقل عن ابن عباس أنه قال (مهيمنا عليه) أي شهيدا، وفي قول آخر له المهيمن الأمين، قال: القرآن أمين على كل كتاب قبله.

وعن قتادة قال: (ومهيمنا عليه) أمينا وشاهداً على الكتب التي خلت قبله.

وعن السدي قال: شهيدا عليه. وقال ابن جريج وآخرون: القرآن أمين على الكتب فيما أخبرنا أهل الكتاب في كتابهم، إن كان في القرآن فصدقوا، وإلا فكذبوا. (16: ٨، ٨ / ٤٨٥-٤٨٦-٤٨٧-٤٨٨).

ومثل هذه الأقوال نقلت عن الآخرين أيضا إلا أن بعضهم أضاف إليها معان أخرى فقال القرطبي: " (ومهيمنا عليه) أي عاليا عليه ومرتفعا". (19: ٣٥/٨٠).

ونقل ابن كثير قول العوفي عن ابن عباس أي: حاكما على ما قبله من الكتب،

ونقل عن غيره أنه قال: قيل الغالب المرتفع. (9: ٨٤/٢).

وهذه الأقوال كما قال ابن كثير كلها متقاربة المعنى، فإن اسم المهيمن يتضمن هذا كله، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، فلماذا جعله شاهداً وأمينا وحاكما عليها كلها، وقد وضح الدكتور خليفة حسن هذه المعاني بشيء من التفصيل مبينا أنها معان ايجابية ولا تتضمن دلالات سلبية تجاه الكتب السابقة وقبولها فيما وافق الاسلام، ومخالفتها فيما خالف الاسلام، فهو يقول: و من مراجعة أهم مصادر التفسير اتضح أن معاني الهيمنة تدور حول التصديق،

والرقابة، والشهادة، والحفظ، والالتزام. واذضاف هو الى المعاني السابقة الواردة في كتب التفسير بعض المعاني الأخرى مثل: الاحتواء، والكفاية، والاحاطة، والشمولية، والجمع، والمنع، والنسخ.

أما التصديق القرآني للكتب السابقة فمعناه أن القرآن اعترف بها، وحث المسلمين بأخذ ما بقي اسلاميا وترك ما انحرف عن خط الاسلام منها باعتبار أن هذه الكتب السابقة نزلت على أنبياء ورسول مسلمين داخل اطار مفهوم الاسلام كدين للبشرية منذ بدايتها، وأن كل دعوات الأنبياء والرسول عليهم السلام دعوات اسلامية. (9، 85/2)

علاقة التصديق بالهيمنة:

التصديق مقدمة للهيمنة؛ لأنه لا بد للمهيمن من وجود مهيمن عليه والا فسيكون منتفيا بانتفاء الموضوع، أي اذا لم يكن هناك كتب أخرى فعلى أي شيء يكون القرآن مهيمنا؟ فالهيمنة تقتضي وجود كتب سماوية أخرى حتى تتحقق صفة هيمنة القرآن على الكتب الأخرى، و مفهوم الهيمنة أتم وأشمل من مفهوم التصديق؛ لأن الهيمنة لا تقتصر على مجرد الشهادة لهذه الكتب بصحة انزال أصولها، وتقرير أصول شرائعها، بل تتعدى ذلك فتبين ما اعترافا من نسخ او تحريف، وبناء على هذا فالقرآن الكريم مهيمن على القضايا الصحيحة الموجودة في تلك الكتب وشاهد على أنها من عند الله، ولكنه كذلك يشهد على هذه الكتب بما أصابها من تحريف و أضيف اليها من أباطيل.

مظاهر هيمنة القرآن على الكتب السماوية

لهيمنة القرآن على الكتب المنزلة قبله مظاهر متعددة منها ما يلي:

١- أن القرآن الكريم أخبر بتحريف هذه الكتب وتبديلها، وأنها لم تبق على ما كان مفروضا فيها من الثقة بها وحقية كل ما فيها، بل تناولتها أيدي أهل الكتاب الأثمة بالتحريف والتبديل، وتناولوا ما بقي منها بالتأويل الفاسد، طبقا للأهواء والشهوات، أو متابعة لنوحي السلطان، أو محاولة لكسب الجدل على أعدائهم وخصومهم، بل أخبر القرآن كذلك أنهم كتبوا الكتب بأيديهم ونسبوا إلى الله زورا وبهتانا { فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ }

٢- بين القرآن الكريم من المسائل الكبرى التي خالفوا فيه الحق واختلفوا فيها. ففي الجانب العقدي - مثلا- نفى ما صرحت به الأنجيل من قتل عيسى عليه السلام وصلبه فقال: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ) وحكم على النصارى بالكفر لقولهم بالتثليث وألوهية المسيح فقال: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أما التوراة فإنها تنسب إلى الله -تعالى- كثيرا من النقائص التي جاء القرآن بدحضها وإبطالها، وتصوره المراجع الإسرائيلية الحالية كالتوراة والتلمود بصورة بشرية محضة، فهو: يحب ريح الشواء، ويتمشى في ظلال الحديقة ليتبرد بهوائها، و يصارع عباده ويصارعونه، ويندم على خلق الإنسان، ويمشي على رجليه حتى يصيبه التعب والكلال، فيجلس للراحة في ظل شجرة، يحدث سفر التكوين: (أن إبراهيم رأى الرب ومعه ملكان فاستضافهم وأطعمهم وسقاهم وغسل أرجلهم ثم رحلوا من عنده. (18: 13/2)

وتقول التوراة الحالية: (فأكملت السموات والأرض وكل جندها وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل، وبارك الله اليوم السابع وقدسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله. (13: 1/2-3)

إلى غير ذلك من المثل الكثيرة الموجودة في التوراة الحالية، تعالى الله عن كل ما قالوا علوا كبيرا، ولقد تكفل القرآن بدحض هذه الأباطيل حيث وصف الحق -جل وعلا- بكل كمال يليق بذاته ونزهه عن كل نقص.

قال تعالى: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ) فكيف تصفه كتبهم بالتعب والكلال؟!!!

ولقد أخبر القرآن أنهم نسبوا إلى الله الولد، كما وصفه اليهود المعاصرون للنبي صلى الله عليه وسلم بالفقر والبخل وغل اليد ثم كرّ على ذلك بالإبطال والدحض، قال تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلٍ قَاتَلَهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ).

وقال: (لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكُنُّبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُ دُونِ عَذَابِ الْخَارِيقِ)

وقال: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعْلُومَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)

٣- كما بين القرآن كثيرا من المسائل التي أخفوها، أو حاولوا إخفاءها، فمن ذلك أن الدارس لأسفار العهد القديم يرى أنها قد خلت من ذكر اليوم الآخر ونعيمه وجحيمه -وإذا كانت اليهودية في أصلها تقرر البعث والنشور، والحساب، والجنة والنار، كما ينبئ بذلك القرآن- فإن ذلك يدل على أن اليوم الآخر وما فيه وما يتصل به من المسائل التي أخفاها أهل الكتاب .

ومن ذلك أيضا إخفاؤهم ما يتصل بخاتم الرسل من بشائر ونعوت وتحريفهم لها بالتحريف أو بالتأويل الفاسد، فجاء القرآن بالحق في ذلك كله: (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ).

٤- ومن مظاهر هيمنة القرآن على ما سبقه من كتب، أنه أنهى العمل بها فلا اعتبار لها بجانبه، لأنه شغل الفراغ كله بتشريعه الجديد وليس لأحد أن يركن إلى ما جاء بها بعد أن تسرب الباطل إليها، ولعبت الأيدي الأثيمة بها.

ولا ينافي ما تقدم من أن القرآن الكريم قد أنهى العمل بما سبقه من كتب الله، أنه أقر كثير من أحكامها ولم يتناولها بنسخ، لأنه أمر بهذه الأحكام وأقرها من جديد، فعملنا بها ليس متابعة لهذه الكتب بل لإقرار القرآن لها وأمره بها (لأن هيمنة القرآن على غيره واستئنافه للتشريع، لا يكون بالتقليد لغيره، بل بالإقرار الجديد وإن كان موافقا أحيانا لما سبقه، وهذا معنى قوله تعالى لرسوله: (فَاخُذْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، بمعنى بما أنزل عليك، وقد أنزل عليه كل ما في شريعة الإسلام ونسخ به كل ما سبقه (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)

وطريق الجمع بين الآيات أن يقال: إن كل آية دلت على اتحاد الشرائع فهي محمولة على مقاصد الدين وأصول العبادات، وأما الآيات الدالة على اختلافها فمحمولة على الفروع وما يتعلق بظواهر العبادات، فجاز أن يتعبد الله عباده في كل وقت بما شاء.

وبذلك يزول ما قد يبدو من تعارض بين آيات القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ لأنه تنزيلاً من حكيم حميد.

الخاتمة

وخلصت الدراسة إلى أن:

الكتاب الأخير في سلسلة الكتب السماوية القرآن الكريم لا يناقض الكتب السماوية السابقة فحسب، بل يؤكدها ويؤكدها. تشير آيات عديدة من القرآن إلى موقف واضح من التوراة والإنجيل والمزامير وغيرها من الكتب المقدسة. وينعكس هذا الادعاء في أوصاف الأصالة والتأكيد على الكتب السابقة في القرآن الكريم.

التوصيات والمقترحات

في هذا الصدد، أود أن أقدم توصياتي على النحو التالي:

رسالتي إلى البشرية جمعاء هي أن تكون على دراية بحقائق القرآن ثم تشعر بتحسن عند التعليق على القرآن. أدعو العلماء والباحثين اليهود والمسيحيين الحاليين ضد القرآن إلى المجيء والتفكير بعمق في القرآن، وبالتالي إعطاء لون حقيقي لبحثكم.

المصادر والمراجع

القران الكريم

- 1- ابن عاشور، محمد الطاهر (1984م). التحرير والتنوير. (ط) تونس: دار التونسية.
- 2- ابن منظور، محمد بن مكرم (1414هـ). لسان العرب. (ط 1، 3) بيروت: دار صادر.
- 3- الأزهرى، محمد بن أحمد (2001م). تهذيب اللغة. (ط 1). بيروت: دار إحياء التراث.
- 4- الألوسي، محمود بن عبد الله (1415هـ). تفسير روح المعاني. (ط 1).
- 5- الأندلسي، محمد بن يوسف (1420هـ). البحر المحيط في التفسير. (ط) بيروت: دار الفكر.
- 6- البخاري، محمد بن إسماعيل (1422هـ) صحيح البخاري. (ط 1). الناشر: دار طوق النجاة.
- 7- البغوي، الحسين بن مسعود (). تفسير البغوي. ().
- 8- الجوهرى، إسماعيل بن حماد (1987م). الصحاح. (ط 4) بيروت: دار العلم للملايين.
- 9- الدمشقي، إسماعيل بن عمر بن كثير (). تفسير القرآن العظيم. (ط).
- 10- الرازي، أحمد بن فارس (1979م). مقاييس اللغة. (ط 1) بيروت: دار الجبل.
- 11- الرازي، محمد بن أبي بكر (1995). مختار الصحاح. (ط جديدة) بيروت: دار.
- 12- رضا، رشيد (). تفسير القرآن الحكيم. ().
- 13- سفر التكوين

- 14- سلامة، د.إبراهيم عبدالحميد (1400هـ). تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عدد 46 . ().
- 15- الصابوني، محمد علي (1981 م). مختصر تفسير ابن كثير. (ط 7) بيروت: دار القرآن الكريم.
- 16- الطبري، محمد بن جرير (). جامع البيان عن تأويل آي القرآن. (ط).
- 17- الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (). القاموس المحيط. (ط)
- 18- القاسمي، محمد جمال الدين (1418هـ). محاسن التأويل. (ط).
- 19- القرطبي، محمد بن أحمد (1964م). الجامع لأحكام القرآن. (ط 2) بيروت: دار الكتب العلمية.
- 20- الكلبي، ابن جزي (). التسهيل لعلوم التنزيل. (ط).
- 21- مصطفى، ابراهيم مصطفى ومجموعة (). المعجم الوسيط. (ط)

جميع الحقوق محفوظة © 2021، الباحث/ ميرويس ستانكزي، الباحث/ محمد حسين روحاني، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي.

(CC BY NC)